٣_الاراميون

الاراميون عرب جاءوا من إحدى مناطق الصحراء السورية العربية بعد نزوحهم من شبه جزيرة العرب في بداية حياتهم كانوا بدوا منتظمين في قبائل تتنقل في بوادي الشام ومنطقة الجزيرة في بلاد وادي الرافدين .

أن هذه القبائل العربية انطلقت من مركزها في الصحراء العربية كالشعاع في كافة أنحاء المنطقة العربية الممتدة من بلاد الشام إلى أعالي ما بين النهرين حتى الخليج العربي ومنطقة شرق دجلة.

إما كلمة (ارامي) التي وردت على هيئة ارام او ارم (وردت الكلمة في القران الكريم ) : ((ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ..)) إلى آخر الآية الكريمة. تعني هذه الكلمة النجد او الهضبة وقد أضيفت هذه الكلمة إلى عده مواقع في بلاد الشام مثل ارام النهرين وارام دمشق وارام صوبا..

يستدل من المدونات الآشورية أن قسما كبيرا من بلاد الرافدين وسوريا الشمالية والوسطى قد اجتاحته في خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد وان المناطق بدات تتخذ صفة ارامية .

أن الاشارات التي وردتنا عن الاراميين هي كتابات (١)المملكة الآشورية والتي تذكر أن مجموعة من القبائل التي اطلق عليها الاخلامو قد قامت بعبور نهر الفرات واتجهت إلى تخوم بلاد اشور يذكر الملك الاشوري

ادد_ نراري الاول (من العهد الاشوري الوسيط) ١٣٠٠ق.م : أن اباه حارب جموع الارامو في شمال مابين النهرين. كذلك ورد اسم الاراميين في رسائل الملك الاشوري تجلاتبليزر(١١٠٠ق.م ) حيث وجه على الاراميين اكثر من ثمان وعشرين حملة وهذا مايشير إلى شدة اندفاع القبائل الارامية وضغطها على الاشوريين بحيث هددتهم في عقر دارهم ، هذا وشملت الزحرف الارامية بلاد بابل حيث استقرت فيها جملة قبائل منهم وخصوصا قبائل _ كالدوا(الكلدانيين) الذين اسسوا فيما بعد امبراطورية لعبت دورا مهما في التاريخ.

هذا إلى جانب ورودهم في الرسائل الحثية التي يتحدث فيها الملك الحثي حاتو شيلش الثالث حيث يقول أن الاراميين قد هددوا سلامة الطرق في الداخل سوريا ضد الحلفاء الحثيين في الدويلات السورية حيث نرى من خلال هذه الرسائل أن الاراميين يحتلون الحصون الحثية ويحررونها الواحد تلو الاخر هذا إلى جانب ورود اسمهم في مراسلات تل العمارنة في مصر في زمن امنوافس الرابع (اخناتون) حيث تذكر هذه الرسائل أن قبائل الاراميين احتلت وجردت سوريا من السيادة المصرية.

نستشف من الكتابات والنصوص الآشورية والبابلية والحثية والمصرية أن جماعات عربية يطلق عليها المجموعة الارامية قد سيطرت على بلاد وادي الرافدين وشمال ووسط سوريا خلال القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد وقد طردت هذه الجماعات المستعمرين الحثيين والحوريين من بلاد الشام .

بحيث اثروا تاثير كبيرا في تاريخ الشرق الأدنى القديم. ونفهم أيضا أن إزهارهم قد بلغ أوجه في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد اذا سدوا الطريق أمام الاشوريين نحو الغرب والشمال الغربي بحيث أن المناطق التي استوطنوا بدأت تتخذ صفة أرامية باستثناء جيوب قليلة في المنطقة لقد بدأت المناطق الوسطية في بلاد الشام تتخذ كقاعدة للآراميين منذ

قبل الميلاد، فلقد نحج الاراميون في أقامة دويلات مهمة في بلاد الشام وفي مناطق الفرات الأوسط وخصوصا الدويلة القائمة في المنطقة الموصلة بين سوريا والعراق والتي سميت باسم_(ارام_نهرايم) اي ارام النهرين والمقصود بالنهرين الفرات والخابور حيث وردت بالكتابات المسمارية (بنهارين) والمعروف أن هذه الدولة قد دمرت نهائيا من قبل الاشوريين في حدود القرن التاسع قبل الميلاد. ومن دويلاتهم الشهيرة هي فدان ارام وكان مركزها في حران (بمعنى الطريق) وكلمة فدان كلمة عربية

تعني الحقل والسهل، ومدينة حران أصبحت من أعظم مراكز الحضارة الارامية. هذا إلى جانب المدن المهمة مثل ارام صوبا حيث تذكرها الكتب اليونانية القديمة باسم خلسيس اي النحاس وهي فعلا بلد النحاس في الارامية ،

ويعرف موقعها اليوم باسم عنجر في سهل البقاع ، هذا إلى جانب مدنهم في جبل الشيخ (جبل حرون) مثل ارام معكة وارام رحوب

الا أن اهم مملكة من ممالك الاراميين هي مملكة دمشق التي أسسها الاراميون وصارت عاصمتهم وعرفت باسم ارام دمشق في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وهذه المدينة التي الاراميون قد ورد ذكرها اي ذكر مدينة دمشق في حوليات الفرعون المصري رعمسيس الثالث ١١٩٨_١١٦٧ق.م وتذكر بالصيغة الارامية (در_دمشق) اي حصن دمشق ونحن نعرف انه قيل هذا التاريخ قد ورد اسم دمشق في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد بهيئة (دمشقا) ومن المعروف أن هذا الاسم مشتق من اسم احد بطون القبائل الارامية التي استوطنت بلاد. لقد اشتهرت مملكة دمشق في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد بحيث أصبحت من الدول الرئيسية في المنطقة نظرا لتوسعها وسيطرتها على اكثر الدويلات السورية بحيث دخلت في حروب كثيرة مع تلك الدويلات كانت النتيجة أن أصبحت هذه المملكة تمتد من الفرات واليرموك شرقا وغربا وحدود الإمبراطورية الآشورية شمالا وجنوبا، فكانت تسيطر على شمال سوريا وشرقها وقد عرفت في الكتابات التاريخية باسم ارام سوريا إلى أن سقطت في عام ٧٣٢ قبل الميلاد على ايد الاشوريين

هذا وقد اشتهر من ملوك الآراميين الملك ابن حدو بحيث انه فرض الجزية على كافة الدويلات السورية وقد تزعم حدو الدويلات السورية في حروبها مع الاشوريين بقيادة شلمنصر الثالث في عام ٨٥٣ ق.م حيث كان الجيش الارامي يضم ما يقارب ٦٠,٠٠٠ فارس تصدى بهم للملك الاشوري في موقعه القرقار على نهر العاصي وانتهت هذه المعركة بدون أن يحرز اي طرف النصر ، كما أن ورثة ابن حدو قد بنفس الدور في التصدي للتوسع الاشوري مستغلين ضعف الدولة الآشورية مما حدا بهم أن يوسعوا فتوحاتهم إلى شرق الأردن وسهل فلسطين وذلك من اجل السيطرة على طرق التجارة مع مصر وبلاد العرب وتمكنت مملكة دمشق أن تصبح سيدة الموقف في بلاد الشام

الا أن الضعف بدا يدب في المملكة الارامية في عهد الملك الاشوري تجلاتبليزر الثالث ٧٤٥_٧٢٧ ق.م حيث سنحت الفرصة لهذا الملك فجهز جيشا في عام ٧٣٤ ق.م على سوريا ودمر المدن التابعة لمملكة دمشق وكذلك سقطت دمشق

في عام ٧٣٢ق.م وهكذا انتهت حياة مملكة دمشق وانتهى معها السلطان السياسي للاراميين. وخصوصا بعد قضائهم على الدويلات الارامية في اقليم سنجرلي، وهي سمال او شمال القديمة حيث اشتهرت دويلات ارامية مثل بيت اكو شي وبيت اديني في مناطق عين تاب في منتصف المسافة بين مرعش وانطاكية..

أن الضغط الاشوري العنيف على الدول الارامية(١) حال دون قيام دولة موحدة للاراميين في سوريا وشمال مابين النهرين بل أن الضغط الاشوري على الاراميين وخنق دويلاتهم ومنعها من التوسع كان

له اثر بالغ في مجريات الأمور السياسية في بلاد الشام حيث اصبحت هذه البلاد عرضة للغزو والنهب وعدم استتباب الأمن ولكن مع إخفاق الاراميين سياسيا الا أن نفوذهم التجاري والثقافي قد وصل إلى

ذروة العظمة واثر تأثيرا كليا في حياة الشرق الأدنى القديم ، وهذا ما كشفته التنقيبات الأثرية في مناطق مختلفة من سوريا حيث دلت الكتابات عن التوسع السياسي لمملكة دمشق وضمت حلب وحماة هذه الكتابات كانت مدونة باللغة الارامية والتي لم يكتبوها بحروف مسمارية بل طبقوا عليها ابجدية مشتقة من الأبجدية الكنعانية فحملت سهولة استعمالها الملوك الاشورين على استخدامها بواسطة الكتبة الاراميين المنتشرين هنا وهناك

أن هذا الانتشار السريع للغة الآرامية بدون دعم سياسي بحيث أصبحت اللغة الارامية لغة عالمية يدعو إلى الإعجاب فبالإضافة إلى استخدام الاشورين لهذه اللغة نرى أن الفرس الاخمينيين استخدموا هذه اللغة في كافة أقطار إمبراطوريتهم كذلك تعلم العرب الشماليون من الاراميين بحيث استعملها الأنباط.

أن أقدم المخطوطات الارامية المعروفة ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد وقد وجدت في شمال سوريا في تل خلف (كوزانا) وسنجرلي وبمرورالزمن انقسمت اللغة الآرامية إلى مجموعتين شرقية انتشرت في وادي الفرات وتمثلها السريانية

في مدينة اودسا (الرها) وغريبة تمثلها ارامية التوراة ولهجة سنجرلي وتدمر والأنباط . والخط النبطي شكل من أشكال الخط الآرامي وهو أصل الخط العربي الشمالي بجميع اطواره.

إما الدور التجاري الذي لعبة الاراميون فهو دور لا يقل شانا عن دورهم الثقافي وخصوصا أن الدور التجاري كان العامل المساعد على نشر الثقافة الارامية في مختلف أنحاء العالم حيث لعب الاراميون دورا هاما في التجارة العالم القديم نتيجة الموقع الجغرافي المهم لسوريا وشمال بلاد وادي الرافدين الذي جعل من هذين الموقعين طرقا طبيعية للتجارة بين الساحل الكنعاني واسيا الصغرى من جهة وبين مناطق جنوب العراق اي أسفل دجلة والفرات من جهة أخرى وقد كانوا وسطاء في عملية التبادل التجاري فقاموا بنقل التجارة عن طريق البر كما سبقتهم الكنعانيون في نقل التجارة عن طريق البحر وساعدهم في ذلك تقدم الصناعة في سوريا وما وصلت أليه التقنية الصناعة بحيث نرى أن القوافل التجارية كانت تتوافد على مدينة دمشق وأصبحت بدورها اكبر المراكز التجارية الممونة للعالم القديم ، هذا إلى جانب قيام الاراميين ببناء محطات تجارية في اغلب الأقاليم البعيدة فقد وصلت قوافلهم التجارية مناطق بعيد وتدل على ذلك موازينهم البرونزية في نينوى ، واحتكروه تجارة سوريا الداخلية وتاجروا في مواد مهمة مثل صبغ الارجوان والمنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية المطرزة والنحاس الاحمر وخشب الابنوس واللؤلؤ والعاج

إما الديانة الارامية غلا ابتكار ولا تفرد جديد فيها هي مزيج اموري وكنعاني بحيث نرى أن العبادات التي عكستها الديانة الارامية هي نفسها عبادات كنعانية من حيث تعدد الآلهة وعبادة مظاهرات الطبيعية وكان أكثر الآلهة أهمية عندهم هو الاله (هدد او حدد) او ادد اله العواصف والرعد والبرق والمسؤول عن المطر والفيضان وقد سمي رامون القاصف الذي يعرف